النص القرآني في منظور الدراسة الأدبية: الموقف والمنهج

Quranic text from the perspective of Literary Study : View and Methodology

Al-Quran dari Sudut Sastera: Prinsip dan Metodologi

عبدالرحمن بن رجا الله الجامعي السلمي*

ملخص البحث

يناقش البحث مسألة مهمة وهي: النص القرآني في منظور الدراسة الأدبية. وقد تناول الباحث بداية ظهور هذه الدعوة على يد الأستاذ أمين الخولي وبين أهم القضايا التي آلت إليها دعوة الخولي. والتي من أبرزها: نزع قداسة النص القرآني، والتأكيد على عروبة النص القرآني وإغفال عالميته، واختزال فهم النص القرآني في التفسير الأدبي وإسقاط المصطلحات النقدية على النص القرآني. كماتناول البحث موقف الفكر العلماني الحديث من هذه الدعوة وكيف انطلق منها في قرآته التأويلية للنص القرآني بهدف نزع قداسته وتفريغه من محتواه الديني. ثم تناول الباحث القراءة الإسقاطية للنص القرآني عند منظري إسلامية الأدب وأبرز الإشكاليات التي وقع فيها بعض الباحثين عندما تعاملوا مع النص القرآني باعتباره نصاً أدبياً صرفاً وإرثاً فنياً بحتاً.

الكلمات المفتاحية: الجذور- النشأة- الخولي- عروبة النص- الاختزال.

Abstract:

The paper attempt to dwell on a significant issue: the position of the Qur'anic text from the perspective of literary study. The questions

* أستاذ الأدب المساعد بقسم اللغة العربية . جامعة الملك عبدالعزيز, السعودية.

raised by al-Khouly in this regard were evoked: shall the holy text be stripped of its sacredness? Shall its Arabic be authenticated? Shall the universality of its message be disregarded? Shall the interpretation from the verses adorned with literary features be abandoned? Will it be proper to use literary terms for the styles of the Quran? This paper also deals with the modern secular view that propagate this call and how the resulted interpretation is in actuality an attempt to deny the sacredness and religiousness that the contents have. A sample of this type of reading of the Quran will be studied and analysed. Some of the errors committed by those critics who follow the method of treating Qur'anic texts as literary texts will be subjected to discussion.

Keywords: Roots – Development – al-Khouly- Textual Arabic – Omitting.

Abstrak:

Kajian ini membincangkan tentang satu isu penting iaitu Al-Quran dari sudut kajian sastera. Penyelidik membicarakan sejarah permulaan kepada seruan ni yang diasaskan oleh Amin Al-khuli kemudian membahaskan beberapa isu-isu penting yang dibangkitkan oleh beliau seperti perdebatan tentang kesucian Al-Quran, penekanan terhadap identiti Al-Quran yang dikatakan ia turun hanya untuk bangsa Arab dan menafikan sifatnya yang universal, serta meringkaskan pemahaman terhadap teks Al-Quran dalam huraian sastera dengan meninggalkan istilah wacana kritis dalam teks Al-Quran. Dalam masa yang sama, penyelidik turut menyentuh tentang pemikiran sekular moden dalam seruan ini dan bagaimana untuk mematahkan pemikiran ini yang sering mentakwilkan ayat-ayat Al-Quran dengan tujuan meragukan keasliannya dan memisahkan isi kandungan agama yang dibawa oleh Al-Quran. Justeru, penyelidik akan membahaskan teks Al-Quran dari perspektif sastera islam dan membincangkan beberapa permasalahan yang telah dibangkitkan

oleh beberapa pengkaji yang mengkaji dan menganggap teks Al-Quran sebagai teks sastera dan seni semata-semata.

Kata kunci: asal usul - kelahiran – Al-khuli – identiti teks – ringkasan.

المقدمة

القرآن الكريم معجز في حقائقه، ومعجز في فصاحته وبيانه وأسلوبه المحكم، ومعجز في أثره الإنساني، وقد احتل البيان القرآني القيمة الفنية الرفيعة في اللغة العربية، وظلت قضية الإعجاز تقوم في جوهرها على تمثل المناحي الجمالية والذوقية في ذلك النص المعجز.

ونزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، اقتضى أن لا تدرك حقيقته ولا تسبر أغواره إلا من خلال لغته وطرائقه في الأداء البياني. وقد اهتم علماء العربية قديماً بجماليات النص القرآني فتتبعوا أسرار بلاغته وكشفوا عما يتميز به أسلوبه من ثراء معرفي وخصائص بيانية. وجميع الدراسات السابقة قد هيأت الأذواق والأفهام لتعدد الدراسات البيانية والأدبية المرتبطة بالنص القرآني في العصر الحديث إذ لا جديد إلا على أساس أصيل من قديم موروث يؤخذ خير ما فيه أساساً راسخاً لجديد اليوم.

الجذور والنشأة:

في بداية العصر الحديث دعا الشيخ محمد عبده (١٢٦٦/١٣٢٣هـ) إلى العودة إلى البيان العربي في مصادره الأولى ليتمكن الإنسان المعاصر من فهم مقاصد القرآن الكريم، ومن هنا بادر إلى تدريس كتابي (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) لعبدالقاهر الجرجاني.[٢] وفي منتصف القرن الماضي دعا الأستاذ أمين الخولي (١٣١٣/١٣٨٥هـ) إلى تأسيس مدرسة التفسير الأدبي للنص القرآني، واعتبر أنَّ المدخل الأساسي لفهم النص القرآني واستظهار

مقاصده لابدَّ أن يتم عبر النظر إلى القرآن الكريم باعتباره كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذي أخلد العربية وحمى كيانها وخلد معها فصار فخرها وزينة تراثها.[٣] وقرر أنه لا يمكن أن نصل إلى مراد القرآن إلا حين نعتمد: الدراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحد دراسة صحيحة كاملة مُفْهِمَةً له، وهذه الدراسة هي ما نسميه اليوم تفسيراً؛ لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن ولا فهم معناه إلا بها.[٤]

من هذا المدخل تناول الخولي دراسة النص القرآني من خلال الوجهة الأدبية لما يربط بين العربية وبين كتابها المعجز، ولما للدراسة الأدبية من أثر عظيم في فهم النص القرآني. ومنهج دراسة النص القرآني عند الخولي هو نفسه منهج دراسة النص الأدبي يقول الخولي: "وإذا ما كان وجه الرأي أنّ هذا التفسير الأدبي ينبغي أن يتناول القرآن موضوعاً موضوعاً لا قطعة قطعة فعلى هذا الأساس يكون منهج التفسير الأدبي إذن صنفين من الدراسة، كما هي الخطة المثلى في درس النص الأدبي".[٥]

ومعنى هذا أن يقرأ النص القرآني ويدرس كما يدرس النص الأدبي وفق اتجاهين هما:

- دراسة ما حول النص القرآني كما يدرس ما حول النص الأدبي.
- دراسة النص القرآني ذاته كما يدرس مضمون النص الأدبي.

ثم حدد قواعد المنهج الأدبي التي تسهم في تسهيل عملية الفهم الأدبي للنص القرآني من وجهة نظره.[٦] ويلخص نصر أبوزيد منهج الخولي في دراسة النص القرآني بقوله: إن دلالة النص تتكشف من خلال تحليل بنائه اللغوي أولاً، ومن خلال العودة إلى سياق إنتاجه ثانياً، وأنَّ إهدار أحد الجانبين يعوق المفسر عن اكتشاف الدلالة والمعنى.[٧]

ودراسة النص القرآني بوصفه نصاً أدبياً .كما يرى أبوزيد . ليست إلا استجابة لدعوة قديمة شاءت لها الظروف أن تمر دون أن تتحقق، إنها دعوة الشيخ أمين الخولي.[٨] وقد تناول تلامذة الخولي هذا المنهج بالتوضيح وعملوا على تطبيقه في بحوثهم على تباين كبير فيما بينهم ،وكان محمد أحمد خلف الله، وشكري محمد عيَّاد، وأحمد بدوي، وعائشة عبدالرحمن

(بنت الشاطئ) من أبرز دعاة هذا الاتجاه الجديد الذي بات في نظر أحد مؤيديه: "أوسع آفاقاً وأعمق تأملاً، وأكثر صلة بالفكر الحديث، وأغزر إضافة على التراث التفسيري".[٩]

ومن المؤكد أننا نتفق مع أصحاب هذا الاتجاه حول مشروعية الدراسة الأدبية للقرآن الكريم إذا كانت تهدف إلى إبراز أسلوب القرآن وطريقته في التعبير والأداء، وتبرز مواطن الجمال في التصوير والإيحاء. ونتفق كذلك على أنَّ القرآن الكريم هو كتاب العربية الأساس الذي نستمد منه مقاييس الأداء الفني لأساليب البيان العربي. فالقرآن الكريم ارتقى بلغة العرب إلى درجة بيانية عالية لم تكن لتبلغها بدونه، وما ينبغي أن نهمل هذا الجانب ونعرض عنه اكتفاءً بالأساس الفكري والتشريعي للنص القرآني.

إلا أنَّ مكمن الخلاف يبرز عندما ننظر إلى المآلات التي وصلت إليها الدراسات الأدبية للقرآن الكريم فمشكلة المنهج تظهر عند التطبيق، فالنظرية الأدبية الواحدة تسفر عن طرائق ومناهج متعددة، فبأي المناهج الأدبية تقرأ النص القرآني، وبأي الأدوات والإجراءات ندرسه ونحلله، وقد يكون لكل محلل منطلقاته الفلسفية أو المعرفية فيحاول إخضاع النص المقروء إلى رأيه وهواه. وتظهر إشكالية هذا المنهج وتعقيداته عندما يوجه للتعامل مع نص مقدس له خصوصيته وشروطه التي لا يمكن أن تتحقق إلا في إطار سياقه العقدي والتشريعي كاملاً دون تشطير أو تجزئة.

مآلات الدراسة الخولية للنص القرآني

من يتأمل المآلات التي آلت إليها الدراسة الخولية يجد أنَّها قادت إلى محاذير شرعية ومشكلات معرفية ومنهجية، ومن تلك المآلات:

أولاً:نزع القداسة عن النص القرآني الكريم

لم يعترض أحد من الباحثين على الدراسات الأدبية للنص القرآني التي بلغت ذروتها على يد سيد قطب ولا على دراسات بنت الشاطئ وشكري عيَّاد؛ لأنها ظلت في إطارها العام ملتزمة بالإفادة المنهجية من القرآن التي تراعي قداسته وخصوصيته. أما دعوة أمين الخولي فقد نادت بضرورة مساواة القرآن بالمأثورات التراثية، حيث أكَّد على أهمية أن يقرأ هذا الكتاب الجليل، ويدرس درساً أدبياً، كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة.[١٠]

وقد آلت الدعوة الخولية إلى ضرورة دراسة القرآن بوصفه نصاً أدبياً وفضاءً لغوياً بعيداً عن أيِّ اعتبارات أخرى مثل كونه تنزيلاً أو وحياً جاء لهداية البشرية وإصلاحها، وهذا ما عبَّر عنه الخولي بقوله: وتلك الدراسة الأدبية لأثر عظيم كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً وفاءً بحق هذا الكتاب، ولولم يقصدوا الاهتداء به أو الانتفاع بما حوى وشمل، بل هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً ولولم تنطو صدورهم على عقيدة ما فيه، أو انطوت على نقيض ما يردده المسلمون، الذين يعدونه كتابهم المقدس، فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس سواء أنظر إليه الناظر على أنَّه كذلك في الدين أم لا.[١١]

هكذا يؤكد الخولي أنَّ الغاية من دراسة النص القرآني إبراز الجانب الأدبي المجرد والتأمل اللفظي بعيداً عن كونه عقيدة وشريعة جاءت لإصلاح البشرية وتنظيم حياتها، وهذه الخلفية التي بنى عليها الخولي منهجه الأدبي في تفسير النص القرآني تلح على ضرورة التجرد من كل خلفية دينية أثناء دراسة النص القرآني. وهو بهذه الرؤية يؤكد أن الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون نظر إلى أي اعتبار ديني، هو ما نعتده مقصداً أول وغرضاً أبعد، يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد.[١٢] وهي دعوة إلى التحرر من كل المعارف المسبقة حول الموضوع المدروس أثناء تحقيقه، والتعامل معه في معطياته الحاضرة بعد إخلاء الذهن مما قيل فيه خلواً تاماً، وهذه الخلفية أثر بني على معارف استشراقية ومناهج غربية.[١]

وقد ذهب أمين الخولي وتلميذه خلف الله إلى أبعد من ذلك، فلم يعد في نظرهما ثمة فرق بين النَّص القرآني والنَّص البشري، وأنزلا كل العناصر التي تقاس بها النظريات الأدبية

على النص القرآني بحجة أنَّه نص مكتوب بالعربية فأصبح إنساني العبارة بشري الأسلوب جاء على سنن العرب وبلاغتها وبيانها.[١٤]

وفحوى ذلك احتساب القرآن الكريم مصدراً إنسانياً وهو ليس كذلك فكونه جاء إنساني العبارة وعلى سنن كلام العرب لا ينفي أن يكون إلهي المصدر. وفي جرأة شديدة أخذ محمد أحمد خلف الله يطبق منهج الخولي الداعي إلى دراسة النص القرآني دراسة أدبية كما تدرس الأمم آداب لغاتها فأعدَّ رسالة الدكتوراة بعنوان: (الفن القصصي في القرآن) وأشرف عليها أمين الخولي الذي شاركه الفكرة ودافع عنها دفاعاً مستميتاً.[١٥]

وتتضمن رسالته عدة أمور كلها تهدف إلى نزع قداسة القرآن والتشكيك فيه منها:

- أن القصص في القرآن عمل فني خالص خاضع لما يخضع له الفن من إبداع وابتكار، من غير التزام بصدق التاريخ والواقع، وأنَّ محمداً فنان بهذا المعنى، وعلى هذا الأساس كتبت الرسالة من أولها إلى آخرها.[١٦]
- القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي، وإنما تتجه كما يتجه الأديب في تصوير الحادثة تصويراً فنياً بدليل التناقض في رواية القصة الواحدة.[١٧]
- القصص في القرآن متدرج كما يتدرج أدب كل أديب، فالأدباء يلتمسون المتعة واللذة في كل أمرٍ فني يعرض للهم، ثم يتقدمون خطوة فيبغون الاستمتاع واللذة بالمحاولات الأولى التي تقوم على التقليد والمحاكاة ثم يكون التخلق شيئاً فشيئاً، والدخول في ميدان التجارب الخاصَّة، ومظاهر ذلك النسخ والتدرج في التشريع.[١٨]
- وهو في كل ذلك يدرس القصة في القرآن كما تدرس القصة الفنية الحديثة، حيث أخذ يطبق المناهج الأدبية الحديثة من حيث خلق الصور والابتكار والاختراع ولذلك لامانع عنده من اختلاف تصوير الشخصية الواحدة في القرآن[١٩] أو وجود القصة الأسطورية في القرآن.[٢٠]

وفي العصر الحديث ظهرت دعوات لإحياء منهج الخولي وتطويره والدفع به ليكون داخلاً في صميم الدرس الأدبي، ومدخلاً لمحاولة ربط تراثنا الإسلامي بالمناهج الغربية المعاصرة. ويرى دعاة هذا المنهج أنَّ الدراسة الأدبية ليست منهجاً مفروضاً على النصوص القرآنية؛ لأنها نصوص أدبية باعتبارها تمارس تأثيرها وفاعليتها في النفوس من خلال عناصر أسلوبية وبنية لغوية شعرية أو قصصية إلى حدٍ كبير.[٢١]

والهدف من ذلك مساواة النص القرآني بالنصوص الأدبية حتى إذا استقرت هذه الفكرة في أذهان المتلقين نادوا بضرورة تحكيم القواعد والأسس التي تستخدم في دراسة النصوص الأدبية وتطبيقها على النص القرآني. وما دام أنَّ نصوص القرآن نصوص أدبية فإنَّ القول بقداستها يعكر كون النص منتجاً ثقافياً كما يعوق الفهم العلمي له،[٢٢] والخطاب العلماني يكرر كثيراً الدعوة إلى نقد القرآن، وإخضاعه للتحليل والتأويل، وأنَّ هذا النقد ضروري ولابدَّ منه لكي يحافظ الإنسان على تماسكه المنهجي و العقلي،[٢٣] وقد تطورت الحضارة الغربية المادية بعد أن أخضع الأوربيون نصوصهم المقدسة للنقد.[٢٤]

وهذا ما سعى إليه أركون وأعلنه صراحة بقوله: "عملي يقوم على إخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن".[٢٥] من خلال هذه النظرية الفلسفية ينطلق الخطاب العلماني في قراءته للنص القرآني قراءة أدبية، وأصبح القرآن نصاً أدبياً مفتوحاً لإسقاط أرائهم ونظرياتهم الأدبية عليه لأجل التحرر من قيد النص المقدس ابتغاء التوفيق بينه وبين الرأي الذي يذهب إليه صاحب التأويل من جهة وتفريغ النص القرآني من مضمونه الديني من جهة أخرى. ولهذا كان التركيز على المنهج الأدبي واعتباره المنهج الوحيد الكفيل بتحقيق وعي علمي لفهم النص القرآني[٢٦] فضلا عن منهج التحليل اللغوي القادر كما يقرر الخطاب العلماني على زحزحة قداسة النص وهيبته المفروضة على النفوس، وجعله خاضعاً لفهم القارئ وقدرته على توليد المعاني.[٢٧]

ثانياً: التأكيد على عروبة النص القرآني وإغفال عالميته.

ينطلق المنهج الخولي من مفهوم محدد للقرآن بوصفه أثراً عربياً خالداً يرتبط بالتأكيد على عروبة القرآن وإغفال عالميته فروح القرآن عربية ومزاجه عربي وأسلوبه عربي. والنفاذ إلى مقاصده إنما يقوم على التمثيل الكامل والاستشفاف التام لهذه الروح العربية وذلك المزاج العربي والذوق العربي.[٢٨]

فالعروبة عند الخولي هي عروبة اللسان والثقافة والعقل، وبما أنَّ القرآن الكريم جاء في معانيه وتشريعاته في ثوبه العربي وبتعبير عربي فالتمثل التام لهذه العروبة هو السبيل المتعين لفهم النص القرآني واستكشاف مراميه.

وهو يرى أنَّ هذا النمط المطلوب من النظر يتحقق بتناول هذا الكتاب بدراسة أدبية، تتفهم بها أصول ما ورثت من تلك العروبة إن كانت عربية النِّجار، أو كانت قد اتصلت بتلك العروبة اتصالاً قوياً، دفع شخصيتها، وسيَّر وجودها، ووجه حياتها، فالعربي القح، أو من ربطته بالعربية تلك الروابط يقرأ هذا الكتاب الجليل، ويدرسه درساً أدبياً ، كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة. وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون النظر إلى أي اعتبار ديني، هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلاً، والعربية اختلاطاً؛ مقصداً أول، وغرضاً أبعد، يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد.[٢٩]

وهذا التأكيد لعروبة القرآن مع إغفال عالميته هو ما أكدت عليه بنت الشاطئ فهي ترى أنَّ القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل عربي أراد أن يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها،[٣٠] وكون القرآن جاء على سنن العرب في البلاغة والبيان لا ينفي عنه البعد العالمي الذي يجعله يعلو ولا يعلى عليه.

ثالثاً: اختزال فهم النص القرآني في التفسير الأدبي.

من المسلمات المنهجية أنَّ علم التفسير يتكون من أصول نظرية عامة تصاغ منها أسس منهجية تساعد المفسر على عرض معاني النصوص القرآنية وما تحمله من دلالات وأحكام. ومن أغرب المفارقات أن تؤول دعوة الخولي إلى اختزال فهم النص القرآني ومعرفة مقاصده في الدرس الأدبي حصراً، وهذا ما أكده بقوله: "فجملة القول أن التفسير اليوم – فيما أفهمه – هو الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع، والمقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك وعليه يتوقف تحقق كل غرض آخر يقصد إليه". [٣١]

وهذه الرؤية الاختزالية عبَّر عنها نصر أبوزيد بقوله: "لا مدخل لدراسة النص القرآني إلا من أحد جانبين: الجانب اللغوي أو الجانب الأدبي. وهذا الجانبان ليسا منفصلين في مناهج الدرس الأدبي المعاصر". [٣٢] وهي رؤية لها مأزقها الاستبدادي المتضمن إلغاء وإقصاء جميع مناهج التفسير الأخرى ، وجعل المقصد من التفسير دراسة أدبية محضة. وقد تلقى تلامذة الخولي هذا المنهج، فتلميذه خلف الله يذكر أنَّ من بين الأسباب التي جعلته يعتني بالدراسة الأدبية للنص القرآني ويجعل من القرآن ميداناً لأبحاثه، ما تركته دروس أستاذه الخولي في نفسه من تطبيق الدراسة الأدبية على النص القرآني. [٣٣]

وفي السياق ذاته ترى بنت الشاطئ أن الدرس التفسيري ظل تقليدياً أثرياً لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم حتى جاء أمين الخولي فخرج به عن ذلك النمط التقليدي، وتناوله نصًّا لغوياً بيانياً على منهج أصَّله، وتلقاه عنه تلامذته وأنا منهم. [٣٤]

وتمادى أحد تلامذة المنهج إلى تسفيه وتحقير جميع كتب التفسير واصفاً إياها بالمذهبية، وداعياً إلى إقصائها بحجة أنها لا تقوم على دراسة النص القرآني دراسة أدبية، ومن ثم فهي لا تلائم روح العصر، ففي جرأة شديدة يقول كامل الدقس: "ولقد نظرت في كتب التفسير كلها، فما ألفيت كتاباً حاول أن يكشف عن سر إعجاز القرآن البياني والمعنوي ،

فرأيت أنَّ من حق مسلم اليوم أن يظفر بتفسير يستغنى به عن تلك التفاسير المذهبية التي ورثها عن القرون الوسطى والتي لا تلائم روح العصر الذي نعيش فيه". [٣٥]

ثم يعلن صراحة أن الدرس الأدبي للقرآن يعد أساساً لإقامة الحجة على الإيمان به والعمل بمقتضاه وتحكيمه في جميع شؤون الحياة فيقول: "فهذا كتابي الجديد في سلسلة الدراسات الأدبية والفكرية التي بدأتها منذ سنتين وقصدت بها تفسير القرآن الكريم تفسيراً أدبياً... بأسلوب عصري يتناسب مع كافة المستويات العلمية حتى يكون هذا التفسير حجة قطعية على الإيمان بالقرآن والعمل به في مختلف شؤون الحياة". [٣٦]

رابعاً: إسقاط المصطلحات النقدية على النص القرآني.

الدراسة الأدبية للنص القرآني كما يرى أمين الخولي هي الكفيلة لفهم رسالة الإسلام ومن هنا كانت دعوته إلى أن يقرأ هذا الكتاب الجليل ويدرس درساً أدبياً كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة. [٣٧] وبناءً على هذا الأمر فالدراسة الأدبية للنص القرآني في نظر الخولي لابدَّ أن تفيد من المناهج الأدبية الحديثة والنظريات النقدية المعاصرة، وإخضاع النص القرآني لهذه المناهج والنظريات يمثل احتراماً له ووفاءً بحقه، فلا خشية إذاً على النص القرآني من هذه المناهج التي تؤصل أدبيته وتاريخيته وتعيده إلى قلب التاريخ ومدار الاهتمام.

هذه الدعوة إلى دراسة النَّص القرآني درساً أدبياً أدت إلى إخضاع النص القرآني لمطرقة النقد الأدبي وقراءته على أنَّه نص أدبي تطبق عليه المناهج الحديثة في دراسة النصوص الأدبية. وهذا ما عبَّر عنه نصر أبوزيد بقوله: "والقول إنَّ كل نص رسالة يؤكد أن القرآن والحديث النبوي نصوصاً يمكن أن تطبق عليها مناهج تحليل النصوص". [٣٨] ومن هنا كان الخطاب العلماني يلح على أن القرآن عمل أدبي أصيل ليس تقليداً ولا يمكن تقليد مثله. والعمل الأدبي لا ينقسم إلى أجزاء، بل هو كل واحد، ليس العمل الأدبي كماً بل هو كيف، ولا يمكن أخذ جزء منه وتذوقه تذوقاً أدبياً دون كله. [٣٩]

فالنصَّ القرآني في نظر نصر أبوزيد وإن كان نصَّاً مقدساً إلا أنَّه لا يخرج عن كونه نصاً، فلذلك يجب أن يخضع لقواعد النقد الأدبي كغيره من النصوص الأدبية.[٤٠] وهذا الخطاب العلماني الموجه للنص القرآني تحت مظلة الدراسة الأدبية لا يفرق بين النص الإلهي والنص البشري فهما عنده سواء من حيث قوانين التكوين والبناء وانفتاح الدلالة، وبناءً عليه فهو منتج ثقافي باعتباره محكوماً بالقوانين الداخلية البنيوية والدلالية للثقافة التي ينتمي إليها والمصدر الإلهي للنص القرآني لا يخرجه عن هذه القوانين.[٤١] إن الخطاب العلماني للنص القرآني إذْ يقرر أنَّ القرآن في محصلته النهائية منتج ثقافي مفارق لمصدره الإلهي خاضع . شأنه شأن النصوص الأدبية والثقافية . للمناهج الحديثة في قراءاته وتحليله يهدف إلى نزع القداسة عن النص القرآني وتحويله من نص مقدس له خصوصيته إلى نص قابل للتأويل والنقد. ومن ثمَّ نزع ثبوت الدلالة عن النص نهائياً وتحويله إلى نص مفتوح متغير الدلالة حسب الظروف التاريخية.

القراءة الإسقاطية للنص القرآني عند منظري إسلامية الأدب.

النص القرآني يفتح مجال التأمل وإعمال الفكر أمام كل مجتهد مادام إعجازه بني على التحدي، ومادام القرآن الكريم نفسه يدعو إلى العلم والمعرفة والتأمل. وقد قاد هذا الانفتاح كثيراً من منظري إسلامية الأدب إلى أن يتخذوا من نظرية الأدب ومفاهيمها منطلقاً لفهم النص القرآني فهماً أدبياً يروم إبراز طريقته الفنية في الإقناع والإمتاع على أن يتم ذلك في سياقه الخاص من حيث مراعاة وضعه المقدس، وأن تكون الدراسة من خلال منهج ومصطلحات تتفق مع خصوصية النص القرآني وخصوصية مصدره وفق رؤية بيانية معجزة تشهد لناظم القرآن بالوحدانية وللقرآن الكريم بإلوهية المصدر وخصوصيته المقدسة.

والمحظور الذي سقط فيه كثير من منظري إسلامية الأدب هوجعل النص القرآني في دائرة النصوص الأدبية فانتهى بهم الأمر إلى تجاوزات خطيرة تضعهم من حيث لا يشعرون في صف التغريبيين الذين ينظرون إلى النص القرآني على أنَّه نص أدبي صرف وإرث فني بحق.

والقرآن الكريم والسنة النبوية لا يمكن اعتبارها موروثاً؛ وذلك لأن الموروث نعني به كل إنتاج أنتجته الذهنية الإسلامية أما القرآن والسنة فيمثلان الوحي الإلهي الذي لا يحصره زمان ولا مكان.[٤٢] وفي ضوء ذلك يتجلى الخطر الكبير في قراءة النص القرآني قراءة أدبية إسقاطية تأتي إلى النص بتصورات جاهزة ورؤية مسبقة وتصوغه وفق أحكام مستقرة في عقل القارئ وفهمه ومن ذلك توظيف النظريات والمناهج الغربية مثل مفاهيم علم النص والأسلوبية والمنهج التاريخي أو المنهج البنيوي من أجل دراسة أسرار البيان القرآني، واستلهام معانيه، وذلك أنَّ هذه المصطلحات والمناهج الأدبية مرتبطة بفلسفات عقدية رافقت نشأتها وساهمت في صياغة توجهاتها الفكرية.

ففي دراسة حسن باجودة نلمس توظيف مصطلحات المنهج البنيوي التفكيكي وإسقاطها على النص القرآني، فتطالعنا مفاهيم البنية والنسق والكلية والبنية الدلالية، والثنائيات الضدية أو التقابلات الضدية، ورؤية العالم، وشبكة العلاقات الداخلية.[٤٣] وهناك دراسات وظفت المصطلحات النقدية الغربية المنبثقة من لب الواقع اللغوي والفكري الغربي دون تمحيص فوقع أصحابها في منزلقات خطيرة، ومن تلك الدراسات دراسة د. أحمد بدوي في كتابه من بلاغة القرآن.

ففي هذا الكتاب حدد المؤلف المنهج الأدبي في دراسة النص القرآني، ومهد لدراسته بمقدمات تحدد معنى الأدب وميدان عمله وكيف نقرؤه قراءة صحيحة نافعة باعتبار القراءة الأدبية استحضاراً لتجربة المبدع في نفس القارئ، وقد جعل القراءة ألواناً ثلاثة: قراءة متذوقة، وقراءة ناقدة، وقراءة حاكمة، ففي القراءة المتذوقة يعيش القارئ مع تجربة المبدع، وفي القراءة

الناقدة يدرس القارئ النص الأدبي ومضمونه، وينقد ما اشتمل عليه من معانٍ وآراء، وبعد ذلك تأتي القراءة الحاكمة لتقويم التجربة والحكم عليها بالخطأ أو الصواب.

ثم سار في دراسته للنص القرآني على هذا المنهج واختار آيات من سورة البقرة وطبق عليها أنواع القراءة الأدبية، فقال: "هذه آيات من القرآن الكريم نقف عندها لنقرأها تلك القراءة الأدبية المتذوقة. وهكذا نستطيع بالقراءة الأدبية أن نصل إلى تصور ما يدار من النص أكمل تصور وأوفاه. وبعد هذه القراءة المتذوقة نقف لنرى مقدار ما في هذا النص من تلاؤم بين ألفاظه ومعانيه، وتلك هي القراءة الناقدة كما ذكرنا فنرى الآيات تصف... ثم نحكم بعدئذٍ على ما في هذه المعاني من خطأ أو صواب، وتناسق أو اضطراب وهي القراءة الثالثة الحاكمة".[٤٤]

ويتناول باحث إسلامي آخر الإعجاز الفني في القرآن ، فيؤكد على أنَّ القرآن الكريم إضافة إلى كونه كتاباً مقدساً هو نصٌ أدبي رفيع يحتل مكانة مرموقة في الأدب العربي ويعتلي ذروة النثر الفني في أسمى صيغة تعبيرية محكمة.[٤٥] وفي مقدمة بحثه يضع الأسس التي يتوخاها لدراسة النص القرآني من خلال إسقاط المناهج الحديثة مستخدماً آليات العقل الإنساني في دراسة تراث الأمم، فيقول: "ويمكن إيجاز هذه الأسس التي توخيتها، وهي مبنية على طبيعة القرآن وفطرة بيانه ولغته في الأمور التالية:

- تجنب التحجر الفكري، والاعتماد على الفكر المستقل السليم، بتحقيق مبدأ فرنسيس بيكون: اقرأ لا لتعارض وتفند ، ولا لتؤمن وتسلم بل لتزن وتفكر.
- أن تمر قراءتنا بمراحل ثلاث: قراءة متذوقة، وقراءة ناقدة، وقراءة حاكمة".[٤٦]

ويؤكد الباحث أنَّ أهم ما يميز الأدب والفن هو أنهما مناجاة الضمير للضمير وحديث الخاطر للخاطر، ثم يقرر بعد ذلك أنَّ النص القرآني لا يختلف عن ذلك فيقول: والقرآن لا تختلف حقيقته عن هذا الكلام، فهو أدب وفن. فهل يمكن تطبيق هذا المبدأ لنجيب على التساؤلات السالفة الذكر؟ يضاف إلى هذا، إنَّ هناك

أصولاً لابدَّ من إقرارها مبدئياً وهي القراءة الناقدة لنصوص القرآن، وتجنب التحجر الفكري، والاحتفاظ بالتفكير المستقل.(٤٧)

ويتساءل هذا الباحث عن معالم أسلوب القرآن! فيجيب: القرآن نصاً أدبياً لابدَّ أن تتوفر فيه عناصر الأدب وهي: العاطفة، والفكرة، والخيال، والأسلوب، وأن تتحقق فيه الغاية الأدبية التي يشير إليها جونسون الغاية الوحيدة للأدب هي أن تجعل القارئ يحسن الاستمتاع بالحياة أو يحسن تحملها. [٤٨]

وهذا الطرح من أحد منظري إسلامية الأدب يتوافق من حيث لا يشعر أصحابه مع الطرح العلماني الداعي إلى نقد النص القرآني وإخضاعه للتحليل والتأويل. وفي إطار دراسة القصة القرآنية يدرس باحث إسلامي الإعجاز القصصي في القرآن ويحدد الجديد في رسالته بقوله: "والجديد في هذه الدراسة هو تطبيق المعايير والأصول المقررة في الأدب القصصي كوسيلة لدراسة القصة القرآنية من أجل تعميق الارتباط الأدبي فيها".[٤٩] بل يجعل تطبيق هذه المعايير والأصول الأدبية سبباً في إدراك أسرار الإعجاز البياني لقصص القرآن فيقول: ولئن تعذَّر على المسلمين اليوم إدراك أسرار الإعجاز البياني في قصص القرآن الكريم لبعدهم عن العربية الفصحى في حديثهم اليومي، فليدركوه بلغة العصر التي سادت فيه طريقة التحليل الأدبي.[٥٠]

وقد أسرف بعض الباحثين حين وصف القصة القرآنية بأنها مشتملة على قواعد الفن القصصي الحديث فذهب يسقط المصطلحات النقدية للقصة الحديثة على القصص القرآني وذلك من خلال دراسة الشخصيات والحوار والسرد والفضاء الزماني والمكاني،[٥١] وأن كل أنواع القصة الحديثة من رومانسية وما تفرع عنها من أقسام كالقصة العلمية والنفسية يجد مثلاً عليا في قصص القرآن،[٥٢] إضافة إلى إسقاط مصطلح القصة القصيرة عن بعض إشارات القرآن إلى مواقف الأمم السابقة.[٥٣] وهذا الاندفاع المحموم الذي يحاول إسقاط مصطلحات القصة الفنية بمفهومها الحديث وتطبيقها على القصة القرآنية لا يراعي خصوصية النص

القرآني وقداسته وينتهي من حيث لا يشعر أصحابه إلى إدراج النص القرآني ضمن التراث الأدبي. وفي سياق الاندفاع المحموم عدَّ د.جابر قميحة القرآن الكريم ضمن التراث الإنساني وذلك عندما تناول عناصر توظيف التراث لدى الشاعر المعاصر أمل دنقل حيث احتسب إفادة الشاعر من النصوص القرآنية ضمن التراث الإنساني دون أدنى تمييز في الدراسة بين النص القرآني المقدس وغيره من النصوص التراثية التي أفاد منها الشاعر. [٥٤]

ونختم هذه الشواهد والأمثلة برأي سيد قطب رحمه الله مؤسس نظرية التصوير الفني في القرآن حيث أشار إلى تأثير ثقافة العصر في نظرية التصوير الفني فبعد أن تناول المذاهب الأدبية في النقد الحديث وهي: الكلاسيكية والرومانسية والرمزية والواقعية تساءل: إلى أي هذه الألوان الأربعة يجنح التصوير الفني في القرآن، م أجاب نفسه قائلاً: "يجد الباحث مشابهة كثيرة فيه من الرومانتيكية وإن كان هو سابقاً لظهور هذا المذهب في أوروبا وفي الشرق طبعاً ولكنها الرومانتيكية الخفيفة البعيدة عن التكلف والاصطناع... وليس في ذلك كله من عجيب فالقرآن تمثل العقلية العربية والاتجاه العربي في التعبير إذْ كان خطاباً للعرب أولاً وسجلاً لأرقى طبقة معجزة في بلاغتهم". [٥٥]

ونلحظ أن هذا النص من سيد قطب . رحمه الله . وإن كان يمثل رؤيته في مرحلته الفنية المحضة من حياته . يجافي قداسة النص القرآني؛ لأن هذه المذاهب الأدبية مرتبطة في صياغتها بالبيئة الأدبية التي نشأت فيها ومن ثم فهي ذات ارتباط بالدلالة على الطبيعة البشرية التي أسهمت في إنتاج هذه المذاهب بواسطة الملكات الأدبية للمبدع، وهي من صميم الخصائص البشرية وهي خصائص وسمات لا تتوافق مع طبيعة النص الإلهي المقدس.

إن دراسة النص القرآني دراسة أدبية ضرورة قصوى ولكن على أن يتم ذلك في سياقها الخاص مع مراعاة وضعه المقدس من حيث المصدر والصياغة، وأن تكون الدراسة من خلال منهج ومصطلحات تتفق مع طبيعة هذا السياق وتراعي خصوصيته دون أن تخلط بينه وبين التراث البشري، وهذا ما نحاول تأصيله فيما يلي.

معيار الدراسة الأدبية للنص القرآني

نحن هنا بإزاء قضية محددة ودقيقة: كيف نتعامل منهجياً مع دراسة النص القرآن؟ وهل يمكن أن نقرأ النص الإلهي قراءة أدبية وفق آليات بشرية تتسم بالتوتر، والنسبية ولا تقرُّ أيَّ لون من ألوان الثبات وترتكز في مرجعيتها إلى فهم النص من خارجه؟ وهل يقرأ النص المقدس لمضمونه أم يقرأ لشكله؟ أم يقرأ لهما معا؟ وهل من المقبول شرعاً أن نجلب الأشكال والأدوات الفنية والمصطلحات والمناهج من خارج دائرة الإسلامية وعزلها عن ظروفها التي رافقت نشأتها وأصولها العقدية والفلسفية التي صاغت توجهاتها، واستنطاق دلالاتها على أنها حقائق ثابتة وتطبيقها على النص الإلهي المقدس دون اعتراض على مضمونها الموغل في إدراج النص الإلهي ضمن الموروث الأدبي والنتاج البشري!

قبل الإجابة عن هذه التساؤلات أشير إلى أنَّ لكل نص بشري خصوصيته الشديدة التي يجب أن يراعيها قارئ النص إضافة إلى شروط ثقافية وسياسية واجتماعية لابدَّ أن تكون حاضرة أثناء تحليل ذلك النص، فمن يريد أن يقرأ لابن تيمية وابن خلدون أو يقرأ لدانتي وشكسبير لابدَّ أن يضع في اعتباره الشروط المنهجية للفهم التي أسهمت في تشكيل نصوصهم وصاغت توجهاتهم، وأيُّ قارئ عربي يقوم بقراءة دانتي أو شكسبير من خلال موروثة الثقافي العربي ويسعى لإسقاط هذا الموروث على نصوصهما فإنه سيتعرض للسخرية والتهكم. كما أنَّه ليس من المنهجية أن نعتبر ما قاله الغرب عن الشعر ونظرياته يجب أن ينطبق على اللغة العربية وعلى شعرائها وأدبائها. فاللغة العربية نفسها متميزة عن تلك اللغات الأوروبية تميزاً جذرياً ظاهراً، تتميز بتاريخها وقواعدها وأوزان شعرها وطبيعة قوافيه. والشعر الغربي نشأ في بيئة مقطوعة الصلة عن التوحيد غارقة ، تائهة بالكفر الصريح والوثنية ،وخرجت الفلسفة والآداب ومعها الشعر من هذه الأجواء المضطربة.

أمَّا اللغة العربية وأصولها فقد نمت في كل تاريخها الطويل في مرابع الوحي وأنوار النبوة وطهارة الإيمان وعزة التوحيد وما كان الشرك إلا انحرافاً عن أصل مشرق ظلت أنواره تسري

بين ثناياً الظلام، وظل التاريخ الأكبر هو تاريخ النبوة والوحي والرسالة.[٥٦] فإذا كانت هذه الخصوصية شديدة الحضور في اللغة العربية فإنَّ لغة النص القرآني في مستوى أعلى من لغة البشر وهي أبعد ما تكون عن كونها انعكاساً لواقع أو ثمرة لتفاعل جدلي بين اللغة والواقع.

والنص القرآني نص مقدس محروس بمعجزة بيانية تشكلت داخل نسق لغوي يحمل رسالة سماوية قد أنيط بذلك النسق اللغوي مقاصد تلك الرسالة، وأصبح مفهوم تلك المقاصد موقوفاً على فهم مدلولات الخطاب. وبناء على ذلك فإن معيار الإفادة من النص القرآني ينبغي أن يكون وفق مجالين رئيسين هما:

أولاً: دراسة النصِّ القرآني بوصفه دستوراً للمنهج ومصدراً للمعرفة.

ثانياً: دراسة النصِّ القرآني بوصفه ذروة البيان العربي في فصاحته وأسلوبه ودقة نظمه وطريقته الفنية في التصوير والإيحاء.

وذلك وفق رؤية بيانية جمالية تضع أمام الأديب الأنموذج الأمثل في الاحتذاء والاهتداء، وهي إفادة منهجية على أساس أنَّ القرآن هو المرجع الذي ينبغي أن ترجع إليه الفنون الإسلامية التي هي فنون إنسانية رفيعة سامقة تصل إلى آخر ما يستطيع أن يصل إليه الإنسان من عمق ورفعة واتساع، وفنون كونية يتسق مدارها مع مدار الكون ، ويتسق جمالها مع جمال الكون وتقوم موازينها على قواعد التناسق الكوني الدقيق الجميل.[٥٧]

ومن هنا فإن الإفادة من النص القرآني في مجال الدراسة الأدبية لإقامة فن إنساني رفيع يحتم علينا أن نلجأ إلى الناحيتين معاً: المفاهيم وطرائق الأداء، ولكن لا لتقليدها. وإنَّما لالتقاط التوجيه الذي تحمله والنسج عل منواله فيما ننشيء من الفنون.[٥٨] وفي المجال الثاني يكون البحث في أدبية القرآن باعتباره كتاب العربية الأكبر الذي يقتسم مع الأدب أبرز مجالاته ومكوناته فهو يثير جميع القضايا الفنية والبلاغية المرتبطة بالنصِّ القرآني ويعتبره وحدة فنية تشتمل على العناصر التالية:

الألفاظ: حيث تمتاز ألفاظ النص القرآني بالدقة في الوضع والاختيار والمعنى والقدرة على التصوير والإيحاء مع غاية الحسن والجزالة والفصاحة.

التراكيب : وتفاوت التفاضل في تركيب الكلام أكثر مما يقع في مفرداتها لأن التركيب أعسر وأشق، ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم . من حيث انفرادها . قد استعملها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنَّه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب.[٥٩]

الأصوات: وهي في القرآن على درجة عالية من النقاء والصفاء حتى أنَّ من ينصت إليه فإنَّما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء من النفس مقطعاً مقطعاً ونبرة نبرة.[٦٠]

التصوير الفني: وهو مظهر من مظاهر أدبية القرآن، فالقرآن يعبر بالصورة المحسَّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شاخص حيٌّ وإذا الطبيعة البشرية محسَّمة مرئية.[٦١] إضافة إلى غنى النص القرآني بالعناصر الإيقاعية التي تموج بالحركة والنغم وتمدنا بطاقة نفسية وتسهم في تصوير تصويراً دقيقاً.

وفي المجال الثاني من مجالات الإفادة الأدبية من النص القرآني يجب أن تكون طبيعة الدراسة في حدود مراعاة الوضع الأصلي للنص المقدس، والمحافظة على خصوصيته حتى لا تخرج الدراسة عن غايتها النبيلة؛ لتصبح دراسة تأويلية إسقاطية أو تحريفية تهدف إلى إخراج النص القرآني عن مداره الرباني التعبدي إلى مدار بشري خاضع للتأويل الأهوائي. ومن هنا فلا يصح إدراج القرآن في باب الأدب وإن تشابه مع الأدب في منطقه الوجداني، وسماته في التأثير والإقناع، كما لا يجوز وصفه بصفات النصوص الأدبية فلا يوصف بأنه نص أدبي أو نثر فني أو موروث ثقافي ؛ لأن في ذلك هدماً لخصوصيته ودمجاً له في إطار النصوص الأدبية

ذات النتاج البشري. كما أنَّ من الخطأ البين القول بأنَّ القرآن نص لغوي، وما ينطبق على اللغة ينطبق عليه، وهذا هو مفهوم "الأنسنة" الذي يهدف إلى نقل النصوص المقدسة من الوضع الإلهي ذي الخصوصية المطلقة إلى الوضع البشري، والذي ينتهي إلى تقرير المماثلة اللغوية بين النص القرآني وغيره من النصوص البشرية بهدف إلغاء قدسية النص القرآني وتفريغه من محتواه الديني.[٦٢]

وفي دراسة النص القرآني دراسة أدبية يجب التنبه إلى خطورة إسقاط المصطلحات النقدية عن النَّص القرآني لأن هذه المصطلحات ذات مقاييس وآليات تحليلية يتحقق بها القصد الأدبي في دراسة النصوص الأدبية وهو تمييز الجيد من الرديء بواسطة تسليط هذه الآليات على النصوص الأدبية على أساس وضعها البشري الذي يحتمل الخطأ والصواب، بينما الأمر ليس كذلك في النص المقدس ذي الوضع الإلهي الذي لا يحتمل إلا الصواب بمقتضى الكمال الإلهي المنزه عن الخطأ.

وقد نبَّه سيد قطب . رحمه الله . إلى أنَّ في القضية القرآنية مظاهر فنية تتجلى في إبداع العرض وجمال التنسيق وقوَّة الأداء، لكنَّها مظاهر فنية مقصودة لذاتها وإنما جاءت لتخدم غرضها الديني، كما أنَّه ليس من المنهجية أن نلحقها بالقصة الأدبية بمفهومها الحديث، وفي ذلك يقول: (القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه .كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق . إنَّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها).[٦٣]

إن من يحاول إسقاط المصطلحات النقدية والنظرية الأدبية الحديثة على النص القرآني يقع في أخطاء منهجية ومشكلات معرفية من ناحيتين:

أولاً: محاكمة نص له خصوصيته وسماته المحددة بمقاييس نص آخر له خصوصيته وسماته المختلفة بحسب بنيته الفنية وما تقتضيه من طابع عام ، ومن صور تتعلق بالصياغة التعبيرية في ظل الوحدة الفنية الخاصَّة بجنس هذا النص.

ثانياً: محاكمة النص الأعلى بالمفهوم الأدنى، وذلك أنَّ لغة النص القرآني تستمد علوها وسموها من مصدرها الإلهي فهي واسطة مختارة من عند الله تعالى اكتسبت قوَّتها في إيصال المعاني الغيبية إلى العقول والقلوب بنفس الإضافة التي اكتسبت بها الروح قوة تحريك الجسد وإيصال الحياة إلى كل أجزائه وبهذا كانت هذه اللغة هي اللغة المختارة باعتبارها كلام الله لا تعد لها لغة أخرى ولا ينوب عن مصطلحاتها مصطلحات أخرى.

ولا يعني هذا أننا نوصد الباب بيننا وبين التجارب البشرية في مقاييس الفن والإبداع من مختلف العصور ولكن قبل أن ننفتح على أي جهد بشري في هذا الميدان يجب أن تكون طريقنا واضحة فنأخذ من هذه التجارب ما يدعم خبرتنا ووعينا وذوقنا ويراعي خصوصية لغة الوحي الإلهي، مع إيماننا العميق بحاجة الأدب العربي الحديث إلى قيم القرآن الفنية وطريقته في الإبلاغ والإقناع.

هوامش البحث:

[١] انظر: مصطفى، الصاوي، **البلاغة والنقد بين الفن والتاريخ**، (الإسكندرية: الهيئة المصرية للكتاب، عام ١٣٩٥هـ)، ص١.

[٢] انظر: عياد، شكري محمد، **الرؤيا المقيدة**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م)، ص١٧٥.

[٣] انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، د. ت)، ص٧٦.

[٤] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٧٩.

[٥] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص.٨٥

[٦] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٨٥-٩٨.

[٧] انظر: أبو زيد، نصر حامد، **مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط٦، ٢٠٠٥م)، ص١٠٧.

[٨] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص١٩.

[٩] انظر: الشرقاوي، محمد عفت، **الفكر الديني في مواجهة العصر: دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث**، (بيروت: لا ط، ط٢، ١٩٧٩م)، ص٢٩٦.

[١٠] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٧٧-٧٨.

[١١] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٧٨.

[١٢] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٧٨.

[١٣] حديث الخولي عن ضرورة التجرد من كل خلفية دينية أثناء دراسة النص القرآني يتطابق تماماً مع فكرة معاصرله هو طه حسين (ت١٩٧٣م) حيث طبق منهج الشك الديكارتي والخولي استقى خطته التجريدية في التفسير من المستشرق شلاير ماشر والذي تأثر بدوره بما نشره ثيودور نولدكه انظر: خليل، أحمد، **دراسات في القرآن**، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢م)، ص٩٣١.

[١٤] انظر: خلف الله، محمد خلف، **الفن القصصي في القرآن**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت)، ص١٣٧-١٣٨ .

[١٥] محمد أحمد خلف الله مصري شيوعي عضو مؤسس وأمين الحزب الشيوعي المصري المسمى حزب التجمع التقدمي الوحدوي حارب القرآن تحت شعار الفن القصصي وشكك في ثبوت القرآن وصحته وثبوت السنة أيضاً. وقد أفتى علماء الأزهر وغيرهم ببراءته من الإسلام ووقع الفتوى شيوخ الكليات وأساتذتها. وقد دافع أمين الخولي عن رسالة خلف الله باعتباره المشرف عليها والمقر لكل ما فيها ورد على الذين انتقدوها وصدرت بعد ذلك عدة فتاوى من الأزهر بتكفير الخولي لتأييده ما في الرسالة ودفاعه عنها ونتيجة للضجة الكبيرة التي أثارتها هذه الرسالة فقد صدر القرار بإيقافهما عن العمل وإبعاد الخولي عن الجامعة بحيث لايقوم بتدريس القرآن ونقل إشرافه على الرسائل إلى غيره من الأساتذة.

انظر: الكتاني، **الصراع بين القديم والحديث**، ٢٤٧/٢، (المغرب: دار الثقافة، م)، ج٢، ص٢٤٧؛ وسعفان، كامل، **هجمة علمانية جديدة**، (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د. ت)، ص٣٨-٥٣.

[١٦] انظر: خلف الله، محمد خلف، **الفن القصصي في القرآن**، ص٨١ – ٨٣.

[١٧] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص١٤وما بعدها.

[١٨] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص١٦٩.

[١٩] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٨٥.

[٢٠] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٨٩.

[٢١] انظر: أبو زيد، نصر، **الخطاب والتأويل**، ص٢٣٤.

[٢٢] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ٢٤.

[٢٣] انظر: تيزيني، طيب، النص القرآني، ص٢٥٢.

[٢٤] انظر: عبد الرحمن، عبد الهادي، **سلطة النص**، ص١٥.

[٢٥] الفكر الإسلامي قراءة علمية. محمد أركون ، ص٢١٣.

[٢٦] انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، ص٧٩؛ وأبو زيد، نصر حامد، **مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن**، ص١٠.

[٢٧] انظر: أركون، محمد، **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب** الديني، ص٦٢؛ وأبو زيد، نصر حامد، **السابق نفسه**، ص٢٧.

[٢٨] انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ص٨٨.

[٢٩] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٧٧- ٧٨.

[٣٠] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ص١٣.

[٣١] انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ص٧٩.

[٣٢] انظر: أبو زيد، نصر حامد، **مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن**، ص١٩.

[٣٣] انظر: خلف الله، محمد خلف، **الفن القصصي في القرآن**، ص٩.

[٣٤] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني**، ص١٣.

[٣٥] انظر: الدقس،كامل، **دراسة أدبية لنصوص قرآنية**، (جدة: دار الشروق، د. ت)، ص٤.

[٣٦] انظر: الدقس،كامل، **التفسير القرآني لسورة الرعد**، (جدة: دار الشروق، د. ت)، ص٣.

[٣٧] انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، ص٧٧-٧٨.

[٣٨] مفهوم النص، ٢٦.

[٣٩] من العقيدة إلى الثورة ، حسن حنفي ، ١٨٩/٤-١٩١

[٤٠] انظر: أبو زيد، نصر حامد، **مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن**، ص٢٤.

[٤١] انظر: **المرجع السابق نفسه**، ص٢٤-٢٨. مبحث " في المنهج".

[٤٢] محمد عمارة في حوار أجرته جريدة " المسلمون" ، عدد ٢٠ فبراير عام١٩٨٥م نقلاً عن: إقبال،محمد عروي، **حضور الأدب الإسلامي**، الجزء الثاني، مجلة الأمة، عدد٦٧، ص٥٤.

[٤٣] وللدكتور باجودة، حسن، دراسات أدبية لعدد من سور القرآن صدر ما بين عام ١٩٧٧-١٩٩٦م مثل تفسير سورة الفاتحة آل عمران والرعد وله التفسير البسيط. انظر على سبيل المثال: **تأملات في سورة مريم**، (مصر: دار الاعتصام، د. ت) ص١٧١-٢٠٩.

[٤٤] انظر: باجودة، حسن، **من بلاغة القرآن**، (القاهرة: نهضة مصر، ط٣، ٢٠٠٤م)، ص٢٨-٣٦.

[٤٥] انظر: السلامى، عمر، **الإعجاز الفني في القرآن**، (تونس: مؤسسة عبدالكريم عبدالله، ١٩٨٠م)، ص٥.

[٤٦] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٩-١٠.

[٤٧] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص١٨.

[٤٨] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٢١.

[٤٩] انظر: مطاوع، سعيد عطية، **الإعجاز القصصي في القرآن**، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٦م)، ص٨.

[٥٠] انظر: **المصدر السابق نفسه**، ص٨.

[٥١] انظر: الخطيب، عبد الكريم، **القصص القرآني**، ص٧١ وما بعدها؛ وجرار، مأمون، **خصائص القصة الإسلامية**، ص٥٣ وما بعدها.

[٥٢] انظر: المحامي، محمد كامل، **القرآن والقصة الحديثة**، ص١٠-١٨.

[٥٣] انظر: المصدر السابق نفسه، ص٢٥.

[٥٤] انظر:قميحة، جابر، **التراث الإنساني في شعر أمل دنقل**، (مطبعة الهجرة، ط١، ١٩٨٧م)، ص٨٥-٩٠.

[٥٥] انظر: مجلة المقتطف، المجلد ٩٤، ص٣١٨، الجزء الثالث، بعنوان: التصوير الفني في القرآن.

[٥٦] انظر: النحوي، عدنان، **الحداثة في منظور إيماني**، (دار النحوي للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٢م)، ص١٨٤-١٨٥.

[٥٧] انظر: قطب، محمد، **منهج الفن الإسلامي**، (دار الشروق، ط٦، ١٩٨٣م)، ص١٣٨.

[٥٨] انظر: المصدر السابق نفسه، ص١٤٠.

[٥٩] انظر: ابن الأثير، **المثل السائر**، ج١، ص١٥١.

[٦٠] انظر: الرافعي، مصطفى، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص١٢٤.

[٦١] انظر: قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط٨، ١٩٨٣م)، ص٣٦.

[٦٢] انظر:الطعان، أحمد، **العلمانيون والقرآن الكريم** ، أحمد الطعان، (الرياض: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٧م)، ص٦٠١.

[٦٣] انظر: قطب، سيد، **التصوير الفني في القرآن**، ص١٤٣.